

ممالك الرماد

الجزء الرابع

محمود سليمان الظاظا

شعر

_1

حتى النخاع

خلف ذلك الباب الحديديّ،

الموصد بإحكام،

يتسلل هواءٌ قارس،

يكاد أن ينخر العظام

حتى النخاع.

هواءٌ مركّب من اثنين:

بحريّ وجبليّ،

اجتمعا معًا

ولا يفترقان أبدًا،

ينخران العظم

حتى النخاع.

_2

باب الإلهام الشعريّ

بابُ الإلهام الشعريّ

اليومَ

مُغلّقٌ بإحكام

لا أفكارَ مميّزةً تعبّره
ولا ومضاتٍ تشقّ عتمته

مُحكّم الإغلاق
على نحوٍ لا يوصف
وإلى إشعارٍ آخر...

_3

ضوءٌ أحمر خافت
ضوءٌ أحمرٌ خافتٌ
يتكسّر فوق ظهرٍ
مقهى قديمٍ
مهملٍ تمامًا.
وبحرٌ مضطربٌ للغاية،
فقدَ ذاكرته
بين أمواجٍ متلاطمة.
أخذَ يبحثُ عنها
في وجوه الصيادين،
وفي شباكهم
الملقاة
في القاع.

رأيته مصادفةً
في شارع القنطاري،
في صباحٍ من نيسان.
فخطر لي سؤال:
أهو رجلٌ واحد
تسكنه شخصيةٌ واحدة؟
أم هو رجالٌ كثير
اجتمعوا في رجل؟
سؤالٌ مرّ في خاطري،
ولم أجد له جوابًا
يطفئ حيرتي.
فبقي السؤال معلقًا،
وبقيتُ أفتش
في الملامح والتجارب
عن سرّ ذلك الرجل.

سأسمح لنفسي
بتفسير آيتين كريمتين
من القرآن الكريم
تبعاً للعقل

يقول الخالق سبحانه وتعالى
في القرآن الكريم:

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنعام الآية 35

" ولو شاء الله لجمعهم على الهدى)

صدق الله العلي العظيم

أي لو علم الله سبحانه وتعالى في الأزل بأن الذين كفروا

سيؤمنون به لهداهم

للإيمان

وقوله سبحانه وتعالى: {وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وِثْرًا مُمْشِدًا} [الكهف:

أي من علم الله سبحانه وتعالى

في الأزل أنه يكون كافرا

لا يهديه "

هكذا

والله أعلم وأحكم

6

أيُّ إلهٍ يعبدون؟

أيُّ إلهٍ يعبدون؟

وأيَّ شريعةٍ يدعون أنهم يطبقون؟

حين تُنتهك الحقوق،

وَيُظلم الأبرياء،

ويُستباح الإنسان،

يتردد السؤال في الخاطر:

أَيُّ إِلَهٍ يَعْبُدُونَ؟
وَأَيِّ شَرِيعَةٍ يَتَّبِعُونَ؟
وَبَأَيِّ دَسْتَوْرٍ يُؤْمِنُونَ؟
لَا أَعْلَمُ...
فَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَحْدَهُ،
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،
الْعَلِيمُ بِمَا تُخْفِي الصُّدُورُ،
وَالْحَاكِمُ بَيْنَ عِبَادِهِ بِالْحَقِّ.
حَسْبِنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ،
وَهُوَ خَيْرٌ مَنْ يُرْجَى عَدْلُهُ،
وَخَيْرٌ مَنْ تُرْفَعُ إِلَيْهِ الْمِظَالِمُ.

7

هَذِهِ الْآيَةُ الْقُرْآنِيَّةُ الْكَرِيمَةُ
تَذَكِّرُنِي بِالْقُرَى الْجَنُوبِيَّةِ
الْمَدْمَرَةِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكهف آية ٣٥

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا

صدق الله العلي العظيم

هكذا

8

هياكل بعلبك

أشعرُ بأنَّ كلَّ شيءٍ
في وطني العزيز، لبنان،
يبدو مستهدفًا،
تطارده المحنُ
وتثقل كاهله الأيام.
إلا هياكل بعلبك،
تلك القلعة العتيقة،
الشاهدة على تعاقب العصور،
والباقية كأنها خارج الزمن.
وذلك الأسد العجوز،
المحتجز داخل صخرةٍ عظيمة
من صخورها الخالدة،
يبدو غيرَ مكترثٍ البتة
بما يجري من حوله،
ولا بما تدور به الدنيا
من أحداثٍ وعواصف.
أراه مستغرقًا
في تأملٍ عميقٍ،
كأنما يشغل فكره
سؤالٌ آخر،
سؤالٌ أقدم من الحروب جميعًا:
لماذا لم يتغيّر
لون السماء؟
هكذا،
منذ آلاف السنين.

إلى الأستاذة المحامية ديالا شحادة

عندما تُحاضرين في القانون،
وتناقشين بالقانون،
وتُلَوِّحِينَ بيديكِ شرحًا لأحكامه،
وتناظرين مستندةً إلى نصوصه وروحه،
ومن جوانبه العديدة
والمتنوعة،
أشعر حقًا
وكأنكِ تمنحين القانون
رونقًا خاصًا،
فتكسبينه شكلًا مختلفًا،
وتُضيفين عليه
مضمونًا سلسًا وقريبًا من الأذهان.
فلا يعود القانون
مجرد موادَّ ونصوصٍ جامدة،
بل يصبح فكرًا حيًّا،
وحوارًا راقياً،
ولغةً يفهمها الجميع.
وهكذا يبدو القانون،
على يديكِ،
أكثر وضوحًا،
وأقرب إلى العدالة،
وأشدَّ حضورًا في الوجدان.

سقطتُ أرضاً

سقطتُ أرضاً

فنهضتُ واقفاً

كالجبال.

كلما أسقطتني الحياة

عدتُ أعتدل

وأقف

كالجبال.

11

نظراتها العبرية الثاقبة

نظراتها العبرية الثاقبة

تلك المسؤولة الرفيعة

داخل الكيان الإسرائيلي

المحتل

تشير

إلى أمرٍ جليل

عاجلاً أم آجلاً

نظراتٌ عبرية ثاقبة...

وأمرٌ جليل؟

هل تُنبئ الأيام بتحوّلاتٍ كبرى

تقترب من مصيرٍ مجهول

ذلك الكيان؟

ممالك الرماد

في ممالك الرماد
 خرج الصمُّ من صمته،
 وانتضى الحسامُ البتَّازُ من غمده،
 وخرج الأنبياءُ - عليهم أفضل الصلاة والسلام -
 من مقاماتهم الشريفة،
 وملوكُ الإنيس والجنُّ الصالحون
 من قصورهم الرحبة الشامخة.
 في ممالك الرماد
 تدور معاركُ لا تهدأُ ولا تفتُر،
 بين الحقِّ والباطل،
 وبين الخيرِ والشرِّ،
 في صراعٍ أزلِّي
 لا يعرف السكون.

أثر الآخريين

في حياتنا
 يمرُّ أناسٌ كالعابرين،
 لكن بعضهم
 يترك أثرًا لا يُمحي.

ولا ندرك قيمتهم

إلا حين يغادرون.

14

شعب الله المختار

من أوهمكم بهذا الادعاء

أنكم "شعب الله المختار"؟

حاشاه سبحانه أن يُحصِر فضله في عنوانٍ يُرفع بلا برهان.

إنها أقوال تُقال وتُتداول،

لكن ميزان العدل الإلهي لا يُقاس بالشعارات،

ولا تُمنح الكرامة بالانتماء وحده،

بل بالتقوى والعمل والحق.

فدعوا الأوهام جانبًا،

فكل إنسانٍ مسؤولٌ أمام ربه،

والفصل يومئذٍ للعدل وحده.

15

امرأة عصرية

لم يعد بحوزتي

ما أبهرك به،

عزيزتي.

صدقيني،

لا شيء لديّ

سوى الكلمات.
تبدین امرأةً ممیزةً
للغاية،
عصريةً،
تمضین بخطی واثقة
نحو ما تريدین.
أما أنا،
فلستُ مبتغاكِ،
ولا الرجلَ الذي
تحلمین به.
کتبتُ هذه القصيدة
على شاطئ البحر،
تحت سعف النخيل،
حيث الهواء العليل
يُداعب الأرواح.
كانت مجرد فكرة
خطرت لي،
لكنك كنتِ
حاضرةً فيها
منذ السطر الأول.

16

سلم شعري

في ممالك الرماد
حاولتُ أن أبتكر سلماً للشعر،
أقيس به الكلمات

كما تُقاس النغمات في الموسيقى.

ربما يوصلني يوماً

إلى قصيدةٍ أكثر صفاءً.

17

جنوب لبنان الصامد

في جنوب لبنان الصامد

كلّ ما حوله يحمل أثر الصمود:

أغصان الزيتون،

الهواء،

التراب،

ووجوه الناس.

حتى الصلوات

والدعوات

تصبح شكلاً من أشكال الثبات،

على أمل الفرج والعدالة.

18

خطوات متعثّرة

تمشي خطوتين متعثّرتاً بأحلامك،

تجاوزاً لوجوهٍ أنهكها الغياب،

لأطفالٍ وشيوخٍ

يبحثون عن مأوى.

وفي كل خطوة

إلى زملائي الشعراء الكرام،

لقد عمدتُ، حتى الآن، إلى تأليف ما يقارب خمسةً وعشرين كتاباً في الشعر، بيد أنني أشعر أنني لم أكتب بعدُ شعراً حقيقياً، بالمعنى العميق للشعر الذي أصبو إليه.

ما زلتُ أبحث عن تلك القصيدة التي تُشبه الحلم، وتلامس جوهر الإنسان، وتبلغ من الصدق والجمال ما أتمناه. وسأظل أسعى جاهداً، وأواصل الرحلة، علّني أقترّب يوماً من ذلك الشعر الذي أسكنه ويسكنني.

ومن يرفع السلاح في وجه الله سبحانه وتعالى، أو يتجرأ على حدوده، فإن عاقبته عند الله شديدة.

ومن يسعى في خراب أو دمار بيت من بيوت الله في الأرض، وهي المساجد، فقد عرض نفسه لسخط الله وعقابه.

ومن يستهزئ بكتاب الله عز وجل، القرآن الكريم، أو ينال منه بسوء، فقد أوقع نفسه في الوعيد الشديد والعذاب الأليم.

ومن يتكبر على الله سبحانه وتعالى، أو يتحدّى أمره، من زعيم متغطرس أو قائد مكابر أو غيرهما، فإن مصيره إلى الخسران والخذلان يوم الحساب.

وكذلك من عادى أنبياء الله ورسله عليهم أفضل الصلاة والسلام أجمعين، فقد استحق الوعيد الشديد والعقاب يوم القيامة.

ثم إن الله عز وجل يجمع الخلائق يوم الحساب، ويجازي كل نفس بما كسبت، فيُظهر العدل الحق، ويأخذ كل ظالم بما يستحق، حيث يكون الخزي والذل لمن طغى وتجبّر، ما لم يتب ويرجع إلى الله.

حمداً لله دائماً وأبداً.

حمداً لله على وجوده سبحانه وتعالى، وجوداً منزهاً عن الجهة والمكان والزمان، فهو جلّ جلاله وحده الشاهد الحق.

والملائكة والمؤمنون يشهدون بعظيم منزلة النبي محمد ﷺ، وما قدّمه من رسالة عظيمة في هداية الناس، وإنقاذ الكثير من الأمم من عاقبة يوم الدين، حين دعاهم إلى الحق، فمنهم من استجاب وآمن، ومنهم من أعرض وكذّب.

وكانت دعوته قائمة على التوحيد الخالص:
شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

22

الحمد
الحمد لله دائماً
وأبداً.
له وحده
تعود الأمور
ويستقيم المعنى
في هذا الوجود.

23

الزمن الحالي
سأسمح للزمن الحالي
أن يعيدني كثيراً
إلى الوراء،
حيث الحمام الزاجل،
والكتابة بالريشة
والمحبرة.
سأخظ لك
قصيدة حبّ عاجلة،
وأرسلها مع
رسول الشوق
على جناح انتظارٍ
لا ينام.

ملف الموقوفين في لبنان

يُعدّ ملف الموقوفين في لبنان من الملفات الوطنية الكبيرة والحساسة، لما يتضمنه من تعقيدات قانونية وإنسانية وأمنية. ويمكن تقسيمه، من حيث العناوين العامة، إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

1- قضايا العمالة

2- قضايا الاتجار بالممنوعات

3- قضايا تتعلق بمواجهة الجيش اللبناني أو الإخلال بالأمن العام

إن هذا الملف يحتاج، في معالجته، إلى قضاء نزيه وقضاة يتمتعون بالاستقلالية والشرف المهني، بحيث تُصدر الأحكام تبعاً وفقاً للمنطق القانوني السليم، والضمير المهني، ومقتضيات العدالة.

فالقضاء، في نهاية المطاف، ليس مجالاً للشعر أو الانطباعات، بل هو مجال لإصدار أحكام تستند إلى الأدلة والقانون.

ومن هذا المنطلق، فإن من يُدان بجرم وقد أنهى محكوميته، يفترض أن يُصار إلى الإفراج عنه وفق الأصول القانونية.

أما من يثبت تورطه في قضايا العمالة، وخصوصاً من غادروا الأراضي اللبنانية باتجاه إسرائيل، فيفترض أن يُحاكموا أمام القضاء اللبناني المختص، على أن تُصدر بحقهم الأحكام العادلة وفقاً لدرجة الجرم المرتكب.

وفي المقابل، يُنظر أيضاً في أوضاع الأبناء الذين دخلوا تلك البيئات وهم صغار، بما يضمن الحفاظ على حقوقهم في العودة إلى وطنهم الأم، لبنان، بكرامة وإنسانية، وكذلك الأمر بالنسبة للنساء اللواتي لم تثبت بحقهن أي تهم تتعلق بالعمالة.

أما تجار الممنوعات، فإن مسؤولية القضاء النزيه أن يصدر أحكامه العادلة الرادعة بحق كل من يثبت تورطه، بما يحقق العدالة ويحمي المجتمع.

وبالنسبة لمن أُدينوا في قضايا تتعلق بمواجهة الجيش اللبناني، وأتموا محكوميتهم، فإن أمر الإفراج عنهم يبقى خاضعاً للأحكام القانونية المرعية الإجراء.

وفي الختام، فإن هذه الآراء تُطرح في إطار منطلق عام قائم على الفهم والعدالة، مع كامل الاحترام للسلطة القضائية والمشرّعين والمحامين، ودورهم في صون القانون وتحقيق العدالة.

التوقيع:

الشاعر محمود سليمان الظاظا

بيروت – 21 أيار 2026

